وقائع العام المنصرم

نظر للاب لويس رتزقال اليسوعي

نظر عامّ

قد ودّعنا السنة ١٩١١ وهي تُسمعنا دويّ مدافع الطليان في طرابلس الغرب وهاك شقيقتها ١٩١٢ تقرعنا الوداع وحولها الوف وربوات من قتلى الحرب وصرعى الاوبئة مضوا ضحيّة المطامع البشريّة وكم يذوق غيرهم في المستشفيات او في ساحات الحرب وشوارع مدن البلقان اوجاعاً يرون الموت بازائها راحةً

ولم تنحصر هذه البلايا في طرفي السنة بل كادت تعمّها فما انتهت الحرب الطرابلسيّة حتى لحقتها الحرب البلقانيّة فكانت ويلاتها افظع واعمّ فكم ارملت من نساء وكم ايتمت من اطفال وكم دمّرت من مدن ونسفت من قلاع . ولم تُحرَم مدينتنا بيروت من شرب نقطة من كأس الحروب المرّة ولا يزال يدوي في آذاننا صدى طلقات القنابل الطليانيّة لمّا فاجأوا ثغرنا في ٢٥ شباط فضربوا البارجة عون الله والنسّانة انقره واصابوا نحو مئتي نفس من جندهما ومن الاهلين المجتمعين في المرفأ فعرفنا بالعيان ما هي الحرب وما هي تواليها وادركنا معنى صلاة الكنيسة في طلبتها حيث تضرع الى الله كي يقي العالم « من الطاعون والمجاعة والحرب » وفهمنا وصف زهير لنوائلها حيث قال :

وما الحرب الّا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتَضرَ اذا ضرّيتموها فتضرمِ
فتعركُكُمْ عَرْكَ الرحى بثفالها ... وتلقح كشافاً ثمّ تُنتَج فتُتئمِ

هذا وصف لحروب الجاهليّة التي تفرق عن حروبنا الحالية فرق الثريّا عن الثرى . فتفعل هذه في ساعةٍ ما لم تفعلهُ تلك في عدّة ايّام بل في اسابيع وشهور طويلة

بئست الحرب وبئس من يقبل على نفسهِ مسئوليّة شرورها . ولعلّ سائلاً يسأل كيف يستطيع عصر التمدّن ان يخوض مناقع الدم ؟ اين نتيجة مجلس التحكيم ومؤتمرات السلم في لاهاي ؟

ذلك كلّه حبرٌ على ورق ورقٌ على صفائح المياه وضرب في الهواء ما دام الانسان مطبوعاً على المطامع وما دامت الدول لا ترضى بما قسم الله لها من النصيب. ألا ترى مثلاً الأُمّة الالمانيّة التي مذ جمع بسمرك قواها ودفعها على جارتها فرنسة فظفرت بها اخذت تعتبر نفسها كسيدة الممالك الاوربيّة فلا ترضى ان تكون بينها ثُنيانًا. ويغيظها خصوصاً ترقّي خصمها فرنسة فتعارضها في كلّ خطوة تتخطّاها الى الامام كما فعلت غير مرّة في مرّاكش ولم تسكن زمجرتها حتى نالت قسماً من مستعمرات الكنغو الفرنساويّة. وكذا قل عن سائر الامم التي تحاول الترفّع والجاه وتنازع اقرانها لتوسيع دائرة نفوذها ونطاق سيطرتها. وعالمنا كما قيل طعمة القاها الله لسدّ جشع الشعوب

وليست المطامع الدوليّة السبب الوحيد للحالة الحرجة التي اصبحنا فيها بل لذلك سببٌ آخر ينجم عن تلك المطامع كالمعلول عن علّته زيد «السياسة الحاليّة» فانّ خوف الدول الاوربيّة من بعضها قد قسمها اليوم الى فريقين عظيمين التحالف الثلاثي (المانية والنمسا وايطالية) والاتفاق الثلاث (فرنسة وانكلترّة وروسيا) فترى كلّ فريق منهما قائماً بالمرصاد لقرنه فاذا زاد الواحد شيئاً في قوّته البحريّة او البرّيّة اسرع الآخر الى زيادة مثلها لحفظ التوازن بينهما فلا يمرّ علينا اسبوع الّا تفيدنا الانباء الرسميّة عمارة سفن جديدة من طرز الدردنوط (١ واستحضار طيّارات حربيّة جديدة وانشاء اسلحة وتحصينات جديدة كأنّ اوربّة دار حرب واسعة مستعدّة للقتال قرينة ادنى اشارة اربابها لتخوض غمارهُ

امّا العمران واصلاح احوال الشعب وتخفيف الاثقال التي تنوء تحتها مناكبهُ فكلّ ذلك يبقى من جملة المواعيد العرقوبية فترى العَمَلة وجمهور الناس يئنّون لما يلقونهُ من المشقّات في سبيل المعاش اذ زادت اثمان المأكولات ولوازم الحياة دون

---

١) كانت الدارعة الكبرى قبل ٢٠ سنة لا تكلّف اكثر من ٢٠ الى ٣٠ مليوناً من الفرنكات. والدردنوط يكلف اليوم من ٥٠ الى ٦٠ مليوناً. وقد باشرت انكلترّة باصطناع واحد منها ذي ١٢ مدفعاً عيارها ٣٤٠ ملّيترًا يكلّف ٧٠ مليوناً. وكانت نفقات كهذه كافية قديماً لحرب باسرها

زيادة تُذكر في الاجور. فهذا ما يُنقم العَمَلةَ على الدول ويثير في قلوبهم ثوائر البغض والنوضى فيمدون الى تلبيك الاعتصابات التي اضحت اخطاراً مهولةً على البلاد كاعتصاب فَعَلة مناجم الفحم في انكلترَّة والمانية واعتصاب التوتيين في فرنسة وانكلترَّة

ومما تطير لهُ القلوب شعاعاً ان زعماء الاشتراكيين يزيدون كلَّ يوم قوَّة وقد فازوا فوزاً عظيماً في مجلس الأمَّة في المانية حتى بلغ عددهم في انتخابات منتصف كانون الثاني ١١٠ وكانوا قبلها ٥٣ فقط وانتخبوا رئيس المجلس من حزبهم

فهذه الاخطار انما سببها الاقرب ذاك السلمُ المسلَّح الذي اضطرَّت اليه الدول الحاليَّة بسياسة بسمرك الذي قلب احوال اوربَّة ظهراً لبطن فان ذلك « الكنشلبار الحديدي » كما دعوهُ بعد ان سحق النمسة في سادوفا سنة ١٨٦٦ وألجأها الى موالاة المانية والعدول عن فرنسة كرَّ بخيلهِ ورجلهِ على فرنسة فكان ما كان في الحرب السبعينيَّة ثمَّ سعى طاقة جهدهِ بعزل فرنسة عن بقيَّة الدول وابعد عنها ايطالية التي لم تتم وحدتُها الَّا بفضل فرنسة وانَّما اراد ذلك لتكون هذه طعمةً لدولتهِ. لكنَّ فرنسة لا تزال ابنة الكنيسة البكر رغماً عن ولاة امرها المتشيعين للماسونيَّة والمتلبين باغلال المالية اليهوديَّة فأمكنها بشفاعة المطرَّبة جان درك وجزاء عن اعمالها الخيريَّة التي تقوم بها في انحاء العمور ان تنهض نهضةً جديدة واتفقت مع انكلترَّة وعاهدت روسية فتمَّ بذلك نظام جيشين هائلين. فالويل كلَّ الويل اذا ما وقعت بينهما حرب عموميَّة

ويوجد سببٌ ثالث ولعلَّهُ اعظم من السببين الآخرين يجلب على الدول ضروب المحن وابلاءً الَّا وهو ضعف الدين في القلوب. فانَّ عدل الله الرهيب يوَّاخذ الامم بذنوبها ويسقط الأئمة في الحُفر التي يحفرونهـا ألا ترى ما يجري اليوم في البرتغال وبلاد المكسيك وكوبا وجمهوريَّة الاكوادور والپراغواي فانَّ اهـل تلك البلاد اصبحوا اليوم في الفوضى يقوم بعضهم على البعض طمعاً في السيادة وتغليب الاحزاب لاسيما الماسون الذين اثاروا الريح فيحصدون اليوم الزوبعـة بعد ارخائهم العنان للتعاليم الكفريَّة وخلعهم نير الديانة الضابط لاهواء الجمهور

وربَّما تراخى حبل السلطة الداخليَّة في بعض البلاد بسوء تدبير اصحابها فصارت

الامور الى هرج ومرج كما ترى في تركيا حيث ضبط الاتحاديون زمام السياسة فلم يحسنوا التصرُّف مع العناصر المختلفة التي جرحوا احساساتها او لم يتداركوا خلل الدولة ليصلحوهُ ويرقُوا الزراعة والصناعة ويكفُّوا ايدي الجُناة في مقدونية والبانية ويشدُّوا ازر الوطنيين الصادقين وما الحرب البلقانيَّة الَّا ثمرة هذه السياسة الحرقاء. فلمَّا وقعت مذابح كوتشانه طفحت الكأس وقامت الدول البلقانيَّة بعزم شديد لم يقم في وجههِ عائق . وبينما كان الوطن على شفا الهلاك وحُماة الدولة يسخون عليه بدمائهم كنت ترى الاتحاديين يتآمرون على ارباب الامر ليسترجعوا سلطتهم المفقودة

وما من شأنهِ ان يخمد قلقنا ويسكن بلبالنا بين هذه المصائب رجاؤنا بنهاية الحرب قريباً بعد الهدنة الاخيرة في خاطلجه التي صادقت عليها الدولة العليَّة مع دول البلقان الَّا اليونان. واملنا ايضاً بانعقاد مفاوضة دوليَّة في لندن فعسى ان تكون عقبى ذاك الاجتماع صالحةً تُسفر عنها لوائح السلام الثابت

الكنيسة وإمامها الاعظم

كان امام الاحبار وعموم اهل النصرانيَّة في العام الماضي يودُّون لو يحيون ذكرى لانتصار قسطنطين الكبير الذي دحر اعداء دولتهِ سنة ٣١٢ ونزع الملك عن منتحبهِ مكسنسيوس وقفل الى رومية ظافراً تحت ظلّ راية الصليب التي أُوحيت اليهِ صورتها فحقنَ دماء النصارى وكسرَ شوكة الوثنيَّة بما اصدرهُ من التقارير لكافَّة انحاء مملكتهِ وبذلك خمد الجهاد العظيم الذي قام بين السيد المسيح منذ ظهوره للعالم وعدوه الأَلدّ ونيس اركان هذه الدنيا ابليس خزاهُ الله

لكنَّ الحبر الاعظم اذ رأى انَّ هذه الافراح لوقوعها في سنة انعقدت فيها الحرب بين ايطالية وتركيَّة من شأنها ان تتمَّ دولتنا العليَّة تلطُّف وأَجلها للعام المقبل واكتفى باقامة رتبة دينيَّة حافلة في كنيسة لاتران وهي الباسليقة القسطنطينيَّة وعلى جانبهِ الجرن الذي تعمَّد فيهِ قسطنطين على ما يقال . ثم عُقدت حفلة ادبيَّة وافق وقوعها تقريباً زمن معاهدة الصلح في مدينة لوزان

على انَّ الحبر الروماني كسيدهِ اذا نالهُ فرح وقتيّ ربَّما عقبتهُ احزان تنغصهُ وتذكرهُ بصليب الجلجلة . ولعلَّهُ لا يقضي يوماً دون ان يحمل هذا الصليب ويشعر

بعبئهِ الثقيل . فمن ذلك مـا يراهُ قداسة البابا في البرتغال من نهضة الماسونيَّة على الكثلكة . فانَّ اصحاب الجمهوريَّة الجديدة لم يكفهم فصل الكنيسة عن الدولة ونهب اوقاف الكنائس ونفي الرهبان وطرد الكهنـة بل حدا بهم تطرُّفهم وبغضهم للدين الى ان ينقوا من لشبونة بطريركها الجليل السيد مندس بلو في ١٥ كانون الاول على انَّ خروجهُ من بلادهِ كان اشبه بانتصار اذ شيَّعهُ من قصره الى المحطَّة نيف وثمانية آلاف من الكاثوليك محتجّين على عمل الحكومة الماسونيَّة

ووجدت هذه الشيعة الملعونة الماسونيَّة في اسبانية لها نصيراً يرنيس وزارتها كاناليجس الذي عرض على مجلس الامَّة عدَّة شرائع دسَّها لمناهضة الكنيسة . وقد سمح الله ان تضربهُ آخرًا يد احد الفوضويين فمات ضحيَّة المبادئ الكفريَّة التي نشَطها وذلك في ١٩ تشرين الثاني فعسى الصريع ان يكون في آخر ساعة حياتهِ اناب الى ربِّـهِ (١ . ونتمنَّى ان خلفهُ في الصـدارة لا يحذو حذوهُ ويفكّ عنهُ ربقة الماسونيَّة واليهود ورؤساء الشيعة . ونحن نعلم العلم اليقـين انَّ اسبانية اعرق في الدين واحبُّ لوطنها من ان تدع الماسونيَّة تنفث سمَّها القتَّال في ابنائها وانها تتصدَّى لمساعي تلك الشيعة فتذود عن حوزة دينها وملكها وتعزّي قلب ابي المؤمنين بعـد ان كدَّرتهُ معاداة كاناليجس للكنيسة

وكذلك المانية الكاثوليكيَّة تُضاعف همَّتها لتُعرب عن خلوص حبّها لخليفة عامة الرسل لينسيهُ بنوهُ الكتابات المهينة التي ينشرها في حقّ الكرسيّ الرسوليّ الاباحيُّون

---

١) ومما يثبت وجود العلائق بين كناليجس والماسونيَّة رسالة كتبها اليهودي ناثان كبير زعماء الماسونية الايطالية لرئيس المحافل الاسبانية الاخ مورايتا (F.. Morayta) في تاريخ ٦ ك ٢ سنة ١٩١٠ وفيها يصرّح ناثان بانَّ الماسون اتَّفقوا على اقامة كاناليجس بدلًا من مورِه (Moret) لعلمهم بانَّهُ يساعدهم في تمهيد الطريق للجمهوريَّة في بلدهِ وفي معارضة الكنيسة الكاثوليكيَّة . وهذه الرسالة قد قرأها في مجلس الندوة الاسبانية بحضور كاناليجس الدكتور اجلسياس (D. Iglesias) واذ ذكر كاناليجس افحمهُ الدكتور اجلسياس بذكر الجرائد التي اثبتت رسالة ناثان ولاسيما المراسلة الرومانيَّة (Corrispondenza Romana) . ولمَّا صادق المجلس الاسبانيّ بعد ذلك بشهر على الحريَّة الممنوحة للاديان غير الكاثوليكيَّة اسرع ناثان ونشر في جريدة « Avanti » لسان حال الماسونيـة خبر تغلُّب كاناليجس على الكاثوليك وسيره على الخطَّة التي نهجها لهُ الماسون

والبروتستانت وغُلاة الوطنيين فتراهم اذا مـا قال الحبر الاعظم او كتب او عمل شيئاً في اثبات الايمان او تزييف الاضاليل العصريَّة تسارعوا الى توجيه كلامهِ الى غير معناهُ او الى نسبة اعمالهِ الى النيات المعادية لوطنهم كما فعلوا لمَّا كسر قداسة البابا تلك البراءة الجليلة المعاني الجزلة الالفاظ في تذكار المئة الثالثة لتثبيت قداسة كرلوس بُروماي رئيس اساقفة ميلانو فانهُ ذكر مآثر ذلك القديس في مناصبتهِ لتعاليم لوتاروس واشياعهِ في ايطالية هاج بروتستانت المانية وماجوا زاعمين انَّ كلام امام الاحبار اهانةٌ لدولتهم فاضطرُّوهُ الى ان يمنع نشرَها في المانية. وقد اشعرنا قداستهُ بما يلقاهُ في طريقهِ من المشاكل في المواجهة الخاصَّة التي تلطَّف فمنحنا اياها في ١٦ كانون الثاني حيث قال لنا: « انَّ اعداء الدين يتعاضدون في مناصبتنا فلا يسعنا ان نقول او نفعل شيئاً الَّا شوَّهوا نيَّاتنا وافسدوا اقوالنا ليمنعونا عن نصرة الحقّ ». ولكنَّهُ بقوتهِ تعالى لا يثبطهُ عائق في اتمام واجباتهِ وهو خليفة ذاك الرسول الذي لم يَرُعْهُ تهديد مجلس اليهود فقال مجاهراً : « انَّ الله احقّ ان يُطاع من الناس. انَّنا لا نقدر ان لا نتكلَّم » والحقّ يقال ان تلك الكلمة البابويَّة لا تزال مقولةً ومسموعة شاء اعداء الكنيسة ام أبوا . وقد اسمع بيوس العاشر هذه الكلمة الالمانَ الكاثوليك في هذه السنة ايضاً فأعلمهم انهُ يثني الثناء الطيب على الشركات الضمانيَّة المذهبيَّة التي يعقدها الكاثوليك بينهم للدفاع عن صوالحهم الزمنيَّة اما اذا كانت تلك الشركات شاملة لذوي مذاهب أخرى فانهُ لا يسمح ببقائها الَّا على شروط معلومة تنفي كلّ ضرر يلحق بايمان الكاثوليك

ومما امتعض لهُ قلب رئيس الكنيسة تشدُّد الدولة الروسيَّة على الدين الكاثوليكي في مملكتها . فبعد الحرب اليابانيَّة كان جلالة القيصر تساهل نوعاً مع رعاياهُ واطلق لهم الحريَّة الدينيَّة فقام الوفٌ وربوات من الروثان الذين غصبوهم على جحود دينهم الكاثوليكيّ وطلبوا الرجوع الى مذهبهم القديم . فكأن الارثدكسيَّة الروسيَّة رأت في ذلك خطراً على وجدانها وكانَّ ملكها خاف على رئاستهِ الدينيَّة فاسترجع القيصر اوامرهُ واستأنف المجمع الديني اضطهادهُ للكاثوليك فانهُ اعلن مؤخَّراً انهُ يعاقب اشدّ المعاقبة كلّ روسيّ يبيع ذراعاً واحدة من ملكهِ للكاثوليك . فقرارات عدائيَّة كهذه من شأنها ان تثير البغض في القلوب وكفى بها شاهداً على صدق جلَّة

الكلمة التي لم تأنف ان كتبت بأنَّ « الكاثوليك يضطهدون الارثدكس » (كذا) . ولا عجب بعد ذلك ان نرى الحبر الاعظم يكرّر احتجاجاته على روسيَّة في سوء معاملتها للكاثوليك الامناء في خدمتها كما فعل اسلافهُ غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر . ولنا الامل ان روسيَّة تسمع ذلك الصوت الجليل فان لها في الكثلكة ضمان عزّها وثباتها كما قرَّرهُ في كتاباته ڤلاديمير سلوڤياف احد الروسيين المخلصين الحبّ لوطنهم

وقد اصابت قلب الحبر الاعظم كأبة جديدة في هذا العام بما لقيهُ من العصيان في المجلس المليّ الارمنيّ . فانَّ نائب السيد المسيح كان تلطَّف ورضي بانتخاب الاساقفة مع المجلس المذكور لغبطة السيد بولس تزيان كبطريرك على قيليقية بعد استعفاء غبطة السيد بطرس صاغيان . ثمَّ اتبع ذلك بنعم جديدة منحها الطائفة الارمنيَّة اذ استدعى السيّد تزيان وبقيَّة الاساقفة الى رومية حيث عيَّنوا رؤساء للكراسيّ المترمّلة وعقدوا مجمعاً لاصلاح شؤون الطائفة . فرأى اولئك المرّة في هذه الانعامات اجحافاً في امتيازتهم المزعومة واتَّفقوا مع الاتحاديين الفرمسون ليكفّوا يد بطريركهم المفضال عن التصرُّف بشؤون رتبته وهم لا يزالون حتى الآن مصرّين على تمرُّدهم . امَّا السيّد تزيان فانَّهُ اتَّكل على الله وعلى الكرسي الرسوليّ ولم تأخذهُ في دفاعه عن حقوق الكنيسة لومة لائم . ولذلك وجَّه اليهِ قداسة البابا في ١٠ حزيران كتاباً يعزّيهِ ويثني على ثباته ويحرم كلّ من تعرَّض لسلطته من ابنائه المتمردين

وكما احزنت هذه الاعمال المستقبحة قلب رأس الكنيسة الكاثوليكيَّة كذلك اشجتهُ المظاهرات التي قام بها اشياع الثورة في رومية ذكرى لوحدة الايطاليَّة فرأوا من الواجب ان يرشقوا بسهامهم الطائشة سجين الڤاتيكان فانتهز اليهودي ڤالان تلك الفرصة ليقيء بتفلته الوخيمة على الصخرة البطرسيَّة . لكنَّ تلك المظاهرات المستقبحة لم تُفد الثورة شيئاً بل كانت برهاناً جديداً على انتقاض حبلها لا سيما اذا قُوبلت بتلك الحفلات الحافلة التي تسبي قلوب الناظرين كلّ يوم في ردهات البلاط البابوي فهناك يتحقَّق كلّ ذي بصر ما للدين من السلطان الاسمى والقدح الأفوز

أجل انَّ قلب بيوس العاشر مجروح بتصويب نبال اعداء الكنيسة اليها لكنَّهُ ايضاً ينالهُ من التعزية والسلوان ما يرجح افراحهُ على اشجانهِ . فمن ذلك ما رآهُ من انتعاش روح التُّقى في قلوب المؤمنين منذ حضَّهم على مثابرة الاسرار وعلى المناولة اليوميَّة ولم يشاء ان يُحرَم منهُ الصغار حتى في نعومة اظفارهم عند بلوغهم الرشاد. وقد سُرَّ قداستهُ بكتاب ذهبيّ رفعتهُ رسالتنا السوريَّة الى اعتابهِ كان فيهِ مجموع نيّف ومئتي الف من المناولات التي قدَّمها المؤمنون الكاثوليك على اختلاف طوائفهم في انحاء الشام على نيَّة امام الاحبار بمساعي آباء رهانيتنا كتكفير عن الشتائم اللاحقة بشخصهِ الكريم . فبارك الاب الاقدس اولئك الاتقياء بركةً خاصَّة . ومن دلائل همتهِ وسهرهِ على خير كافَّة ابنائهِ مَنحهُ الشرقيين نعمةً أُخرى طالما كانوا تائقين اليها تزيد المناولة الحُرَّة بين كلّ الطوائف على ايّ طقس كان (راجع المشرق العدد السابق ١٩١٢ ص ٨٨١—٩٠١) فكان لهذه النعمة احسن وقع في صدور الكاثوليك الشرقيين بلا استثناء ولا شكَّ انها تأتي باثمار جديدة من التقى والروح المسيحيّ

وقد اثلج صدر الحبر الاعظم حادثٌ آخر اهتزَّت لهُ عاصمة النمسة بل اوربَّة جمعاء فضلاً عن العالم الكاثوليكيّ نريد ذاك المؤتمر القربانيّ الذي عُقد في ڤينَّة من ١٢ الى ١٥ ايلول فجرت في اثنائهِ تلك المظاهرات الفخيمة التي لا يُرى لها من شبيه في اعظم حواضر الدنيا. وكان شيخُ الڤاتيكان يتبع كلّ حركات ذاك المشروع العظيم فتأتيهِ الأنباء تترى تعلمهُ يوماً فيوماً بل ساعةً فساعة عن كلّ ماجريات المؤتمر . وكان الماسون واليهود كألوف عادتهم قصدوا ان يشوّهوا تلك المظاهرات ويهيّجوا لمعاكستها الرأي العام بالخطب والجرائد التي اكثرها تحت سيطرتهم في النمسة لكنَّ الله خيَّب آمالهم . وفاق هذا المؤتمر على المؤتمرات السابقة في القدس في مالين في لندن في منتريال في مدريد وكلّ يعلم ما اتت بهِ تلك المؤتمرات من المآثر العجيبة. أجل انَّ الامطار الغرميَّة كانت في مدَّة مؤتمر ڤينَّة متواصلةً حتى انها افقدت الطوافات العلنيَّة بالقربان الاقدس شيئاً من رونقها وفخامتها لكنَّ الدين الكاثوليكيّ قد اصاب في ذاك المؤتمر من الشرف والعزّ والجلال ما لم يُصب الَّا نادرًا مثله . لعمري لو لم يرَ مليونٌ من الناس الوافدين لتلك الحفلات سوى الامبراطور فرنسوا جوزف وهو شيخ مهيب في سن ٨٢ سنة يتقدَّم في طواف القربان الاقدس متخشعاً

امام رب السماء كجندي المسيح ومقتدياً باحد اجداده رودلف دي هبسبورغ الذي لما رأى كاهناً يحمل القربان الاقدس لمريض نزل عن جواده واركب الكاهن ومشى امامهُ اجلالاً لرب السماوات المحجوب تحت الاعراض السرّية لكان ذلك كافياً لفخر الكنيسة . ولم يقتصر سلطان النعمة على ذلك بل الى طول مدّة المؤتمر باعمال تنطق بايمانهِ الصادق ومحبّتهِ للكنيسة ورأسها المنظور على الارض فأنزل ممثل قداسة البابا الكردينال ڤان روسوم كضيف كريم في بلاطهِ كما اضاف امراء دولتهِ الاساقفة والاعيان القادمين من جهات المعمور . وتقرّب الامبراطور مع اهل بيتهِ وحاشيتهِ من القربان الاقدس في وقت المؤتمر . ولمّا سار الموكب الاخير في ١٥ ايلول مطيفاً باله السماء كان هو يتقدّم الجميع غير مكترث لهطلان الامطار . وفي ذلك اليوم خرج ارباب الدولة النمساوية ليشتركوا القربان المقدّس في ملابسهم الرسمية وبزّاتهم الفاخرة ينوب كلّ منهم عن أمّةٍ من امم اوستريا المتعدّدة كالالمان والمجر والصقالبة والبوهيميين والتشاك لابسين ازياء بلادهم التاريخيّة الرفيعة القدر الغالية الثمن المرقومة والمزركشة بالذهب والقصب . وكانت عربات البلاط الآخذة بالعيون لعجيب صنعها تقلّ كبار الدولة وكان الامبراطور جالساً في احداها مع وليّ عهدهِ تجرّهُ ستة من الخيل المطهّمة . امّا افخر هذه العربات فكانت عربة الملكة مريم تريزا الامبراطورة النمسويّة الشهيرة واياها ركب الكردينال ڤان روسوم حاملاً لشعاع القربان . وكانت الجماهير المجمهرة الحاضرة في ذلك الموكب المهيب ما قُدّر عددهُ بمليون من البشر حتى خُيّل لبعضهم انّ اوربّة في ذلك اليوم انتقلت الى حاضرة النمسة . وممّن مثّلوا وطننا العزيز سيادة رئيس اساقفة بيروت على الموارنة المطران بطرس شبلي وهو كان يتمنّى لو رأى اهل بلادنا معاينين لتلك المناظر الفتّانة فيعرفوا قدر الدين في قلوب الغربيين . وخلاصة القول انّ المؤتمر القربانيّ كان انتصاراً دولياً للدين الكاثوليكي . ولذلك شكر قداسة الحبر الاعظم جلالة الملك فرنسوا جوزف الذي عزّز مملكتهُ بتلك المظاهرات الفخيمة وحقّق وعدهُ بان يجعل المؤتمر تحت حمايتهِ

إي وايمُ الحقّ لم يمت الدين كما زعموا واذا خصصنا بنظرنا الكثلكة وأيناها تنمو وتزداد كلّ يوم عدداً وفضلاً ففيها تصدق مواعيد منشئها الالهيّ حيث

قال انَّ الجيلَ سيُبشَّر بهِ في العالم كلهِ . فلا تجد في عهدنا بلدًا ايًّا كان خالياً من بعض ابنائها ولو جُزتَ الى اقصى جزائر اوقيانية ودخلت بين اعرق الامم في الهمجيَّة لَلقيتَ مرسليها وكنائسها ومشروعاتها المتادة في سبيل الدين والتمدُّن

ومِمَّا تبتهج لهُ القلوب نجاح الكثلكة في البلاد البروتستانيَّة فتواصل بين اهلها الرقيَّ في معارج التقدُّم والنموّ حتى بلغ ابناؤها في اقلَّ من مئة عام اضعاف ما كانوا عليهِ . فانَّ كاثوليك المانية كانوا سنة ١٨٠٠ عشرة ملايين وهم اليوم واحد وعشرون مليوناً . وترى حواضر الدولة حافلةً بكنائسهم زاهيةً باعمالهم الخيريَّة ومشروعاتهم الاجتماعيَّة حتى اضحت برلين نفسها عاصمة البروتستانيَّة احد مراكزهم المهمَّة . وكفى بذكر مؤتمراتهم السنويَّة التي يعقدونها كل عام للوقوف على تقدُّمهم من الوجهتين الدينيَّة والمدنيَّة

ولعلَّ هذا الرقيَّ اظهرُ واجلى في انكلترَّة . فان عدد الكاثوليك في انكلترَّة وحدها دون ارلندة قد زاد نحو عشرين ضعفاً فكانوا سنة ١٨٠٠ ١٢٠,٠٠٠ فبلغوا سنة ١٩٠٧ ٢,١٨٠,٠٠٠ لهم ٢,٠٧١ كنيسة يتولَّى تدبيرهم ٢١ اسقفاً و٤,١٦٦ كاهناً . وفي ظرف الاثنتي عشرة سنة الاخيرة قد ارتدَّ الى الكثلكة ٤٤٦ عضوًا من الاكليروس البروتستانيّ و ٤١٧ من اعضاء البرلمان و٢٠٥ من ضبَّاط البحريَّة و١٣٢ من معلّمي الآداب والعلوم العليا و١٢٩ من المتفقهين و٦٠ من الاطبَّاء و٦٦ من الأُسر الشريفة .. وللكاثوليك اليوم في مجلس الأُمَّة ٨٢ عضوًا وفي مجلس الاعيان ٤١ لوردًا وفي مجلس الشورى ٢٠ ممثلًا

واغرب من ذلك نجاح الكثلكة في اوستراليا حيث لم يكن فيها سنة ١٨١٨ ولا كاثوليكيّ واحد وهم اليوم ينيفون على ١,٦٠٠,٠٠٠ يرعاهم ٣ مطارنة و١٤ اسقفاً و١,٤٠٠ كاهن فضلًا عن رهبانهم ورواهبهم البالغين ٥,٥٠٠

ومثلها غرابةً الولايات المتحدة حيث كان الكاثوليك فيها سنة ١٨٠٨ اربعين الفاً لا يزيد عدد كهنتهم عن ٥٠ كاهناً تحت رعاية اسقف واحد واليوم تضاعفوا حتى انافوا على ١٠٦ اضعاف فصاروا وفقاً للاحصاء الاخير ٢٢,٥٨٧,٠٧٩ كاثوليكيًّا و١٦,٥٠٠ كاهن وقاصد ورسوليّ و٣ كرادلة و١٣ مطراناً و٨٨ اسقفاً و١٣,٢٠٤ كنائس

وزاد عدد الكاثوليك في هولندة في السنة ١٨٠٠ الى ١٩٠٧ ستين ضعفاً اذ كانوا ٣٠,٠٠٠ فقط فبلغوا ١,٨٢٢,٠٠٠ يتولى رعايتهم مطران واربعة اساقفة و٣,٧٥٨ كاهناً و١٨,٨٢٥ راهباً او راهبة و٤١٦ كنيسة جديدة و١٣٦ كنيسة مرممة وقد انفقوا على تشييد تلك الكنائس في اقل من عشرين سنة ١٢٠ مليون فرنك وكان وزراؤهم سنة ١٩٠٤ ثلاثة بين ثمانية اما المبعوثون فكانوا في مجلس النواب ٢٥ و١٨ في مجلس الاعيان

ولم تشذ سويسرة عن هذا النجاح فان كاثوليكها كانوا سنة ١٨٠٠ ٤٢٠,٠٠٠ فزادوا على ثلاثة اضعاف وبلغوا اليوم نيفاً و ١,٣٠٠,٠٠٠ يديرهم خمسة اساقفة ونائب رسولي

وكذلك البلاد التي تخضع للكنائس الرومية المنفصلة فانَّ الكثلكة رغماً عما تلقاهُ من العوائق في سبيلها لا تزال ناميةً فانَّ الكاثوليك في رومانية ازدادوا من ١٦,٠٠٠ الى ١٥٠,٠٠٠ وفي البوسنة والهرسك من ٢٥,٠٠٠ الى نيف و٤٠٠,٠٠٠ وفي بلغارية من ١,٣٠٠ الى ٢٨,٠٠٠ والصرب من ٦,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ واليونان من ١٥,٠٠٠ الى ٤٤,٠٠٠ ولما منحت روسية حرية الدين لرعاياها بلغ فيها عدد الارتدادات من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ٢٣٠,٠٠٠ منهم ١٦٨,٠٠٠ في پولونية الروسية والبقية في سائر انحاء الدولة

ومما رأيناهُ في لبنان مؤخراً ارتداد ١٥٠٠ من روم كوسبا وجهاتها الى الكثلكة فنما بهم قطيع سيادة اسقف طرابلس السيد الجليل يوسف الدوماني وكذلك أكد لنا الثقة انَّ عدداً ليس بزهيد من يعاقبة حماة اذ رأوا تقدُّم الكثلكة في مدينتهم بهمَّة غبطة بطريرك السريان السيد اغناطيوس افرام الرحماني نووا ان يتحدوا بالكنيسة الكاثوليكيَّة بل اخذ بعض اساقفة اليعاقبة يتوقون الى هذا الاتحاد لما يرونهُ في بطريركهم عبدالله الصددي من سوء التصرُّف وقلَّة الاكتراث للدين. فسانا نرى يوماً تحقيق رغبة السيد المسيح بان تكون رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

فكل هذه الامور من شأنها ان تفرج همَّ الحبر الاعظم وتسرّي عن قلبه. ولعلَّ اعظم سروره كان بنظره الى فرنسة التي لطَّفت نوعاً معاملاتها مع الكاثوليك ورجعت الى ما هو افضل لخيرها واوفق لماضي تاريخها - ففي ١٩ أيار احدثت القلوب

تحت راية واحدة في ظلّ حماية المطوّبة جان درك الواقع في ذلك اليوم التذكار المئويّ لمولدها فكانت الافراح شاملة لعموم الفرنسويين على سواء واجتمعت الدنيا مع الدين لاكرام مخلّصة فرنسة. والامل معقود ان يُتخّذ تذكار جان درك المئويّ كعيد فرنسة الوطنيّ

وكذلك سُرّ كاثوليك الشرق بل النصارى عموماً لما صرّحت به الدولة الفرنسويّة من امر حمايتها للمسيحيين في انحاء الشرق وفقاً للمعاهدات التي جرت بينها وبين تركيّة مع مصادقة الكرسي الرسوليّ عليها واقرار الدول بثبوتها دون معارضة الى عهدنا هذا حيث دفع عامل المنافسة والطمع بعض الممالك الاوروبيّة الى منازعة فرنسة ذلك الامتياز الخطير فرأت من واجباتها ان تقرّر حقوقها في وجه المعاكسين لسياستها وتنفي من عقول نصارى الشرق كل ارتياب في الدفاع عن صوالحهم في الاخطار الحاضرة. وقد اظهرت تلك الحماية فعلًا لأخذها بناصر المرسلين في الصين والعجم وتركيا. فعسى ان تكون هذه الاعمال مُفتتح عصر جديد لفرنسة تنكشف فيه غيوم الاضطهادات الدينيّة. كما اننا نؤمّل انّ الشريعة الجديدة في تحرير الانتخابات تمهّد السبيل للسلام الاهليّ وتقرّب الدولة من الكرسيّ الرسولي فتعيد ما قطعتهُ جزافاً من العلاقات الوديّة

ولا يسعنا السكوت عمّا نالتهُ الكثلكة من الامتياز في بلاد نروج بنسبة اليوبيل الفضي الذي اقامهُ الكاثوليك في ١٨ أيار للسيّد فالیز (Mgr. Fallize) الذي كان اوّل نائب رسوليّ في تلك الدولة بعد انقطاع سلسلة اساقفتها بفعل الاصلاح البروتستانيّ المرحوم. وارادَ جلالة الملك هاكون ان يشارك الكاثوليك في افراحهم فمنح سيادتهُ وسام القديس اولاف من رتبة كومندور وذلك بنيابة يوقيّ ارسلهُ نصف ساعة بعد عودتهِ الى مملكتهِ وهو راجع من حفلة دفن والدهِ الملك فردريك الثامن ملك دنيمرك. وفي هذه الفرصة افاضت الجرائد والمجلات البروتستانيّة في مديح صاحب اليوبيل ونشرت صورتهُ وكتبت فصولًا اطرأت فيها الكنيسة الكاثوليكيّة ايّ اطراء وسنروي شيئاً من كلامهم في شذراتنا ان شاء الله وترى فوز الكثلكة في تلك البلاد التي احدى شرائعها كانت سنة ١٨٤٢ الحكم بالموت على كلّ كاهن كاثوليكي يدخلها وبالنفي واستصفاء المال على كلّ علمانيّ يعترف بها

ونضيف الى هذه الاخبار الدينيَّة المفرحة ذكر حفلات اليوبيل الاسقفيّ الفضي لقبطة بطريرك السريان الكاثوليك السيّد اغناطيوس افرام الرحماني فتشكّلت لذلك لجنةٌ خاصّة تولّت ترتيب الاحتفال في ٢١ نيسان فتوالت الرتب الدينيَّة الشائقة وعقبتها التهانئ الرسميَّة من ممثلي الكرسي الرسولي والطوائف الكاثوليكيَّة والحكومتين المحليَّة واللبنانيَّة وكان كثيرون من ابنائه السريان وغيرهم اهدوا غبطتهُ الهدايا الثمينة التي عُرضت في احدى قاعات الدار البطريركية. ودامت تلك الاعياد ثلاثة ايّام ظهر في اثنائها ما لصاحب اليوبيل في كلّ القلوب من عظم القدر وخلوص الحبّ

وبالاجمال نُعدّ هذه السنة كسنة ميمونة على الدين والكنيسة وفيها خمدت نوعاً تلك الفتن التي كانت المسونية وانصارها اثاروها لمناهضة ارباب الدين في لبنان وانحاء الشام. وانّا رُزئنا بفقد اسقفين جليلين كانت وفاتهما خطباً اليماً على طائفتهما زيد الطيّب الذكر السيّد جرمانوس معدّد اسقف اللاذقيَّة شرفاً على الروم الكاثوليك الذي خصهُ الشرق بمقالة مطوّلة (١٥: ٤٥٦—٤٦٧) ثناء على اعماله الخيريَّة والسيّد يوسف دياب رئيس اساقفة حلب على الموارنة المعروف بغيرته وتقاه (لهُ بقيَّة)

كتاب العمل بالاصطرلاب

لعليّ بن عيسى

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

سبق المشرق سنة ١٩٠٠ (٣: ٨٢٤—٨٣٩ و٩٨٣—٩٨٦) فوصف الآلات الرصديَّة التي اتّخذها العرب لمراقبة الفلك وقياس حركاته. وقد خصَّ هناك حضرة الاب كولنجت بالذكر الاصطرلاب (وكتبوها ايضاً اسطرلاب بالسين) وهو كما يدلّ عليهِ اسمهُ اليوناني آلة لقياس الكواكب الثابتة والسيارات في طلوعها وغروبها وميلها وارتفاعها وغير ذلك من حركاتها التي تعرّف احوال الفلك ليلاً ونهاراً وفي فصول السنة المختلفة. وهذه الادلّة كان سبق الى وضعها